

الأسماء الثلاثة الإله، الرب، والعبادة

(89) الصنف الأول: يحصر الاستعانة في الله فقط و يعتبره الناصر والمعين الوحيد دون سواه. والصنف الثاني: يدعونا إلى سلسلة من الأُمور المعيّنة (غير الله) و يعتبرها ناصرة و معينة، إلى جانب الله. أقول: اتّضح من البيان السابق وجه الجمع بين هذين النوعين من الآيات، و تبيّن أنّّه لا تعارض بين الصنفين مطلقاً، إلاّ أنّ فريقاً نجدهم يتمسّكون بالصنف الأول من الآيات فيخطئون أيّ نوع من الاستعانة بغير الله، ثم يضطرون إلى إخراج (الاستعانة بالقدرة الانسانية و الأسباب المادية) من عموم تلك الآيات الحاصرة للاستعانة بالله بنحو التخصيص، بمعنى أنّهم يقولون: إنّ الاستعانة لا تجوز إلاّ بالله في الموارد التي أذن الله بها، وأجاز أن يستعان فيها بغيره، فتكون الاستعانة بالقدرة الانسانية والعوامل الطبيعية – مع أنّها استعانة بغير الله – جائزة و مشروعة على وجه التخصيص. و لكن هذا ممّا لا يرتضيه الموحّد. في حين أنّ هدف الآيات هو غير هذا تماماً، فإنّ مجموع الآيات يدعو إلى أمر واحد و هو : عدم جواز الاستعانة بغير الله مطلقاً، وأنّ الاستعانة بالعوامل الأخرى يجب أن تكون بنحو لا يتنافى مع حصر الاستعانة في الله بل تكون بحيث تعدّ استعانة بالله لا استعانة بغيره. وبتعبير آخر: إنّ الآيات تريد أن تقول بأنّ المعين و الناصر الوحيد والذي يستمدّ منه كلّ معين و ناصر، قدرته و تأثيره، ليس إلاّ الله سبحانه، و لكنّه – مع ذلك – أقام هذا الكون على سلسلة من الأسباب و العلل التي تعمل بقدرته و أمر باستمداد الفرع من الأصل، و لذلك تكون الاستعانة به كالاستعانة بالله، ذلك لأنّ الاستعانة بالفرع استعانة بالأصل. و إليك فيما يلي إشارة إلى بعض الآيات من الصنفين: